

معارضة محمد بن خزر المغرراوي للوجود الفاطمي في بلاد المغرب الأوسط.

~~~~~ أة/بلهاري فاطمة

تعتبر قبيلة مغراوة من أقوى بطون زناتة، وكانت لها الرئاسة على المغرب الأوسط مع بني يفرن الزناتيين، وقد ظلت مغراوة على رئاسة زناتة من قبل الفتح الإسلامي للمغرب حتى شردت القبائل الزناتية في الصحاري على يد قبيلة صنهاجة وانصارها بعد خروج الفاطميين إلى مصر. ومغراوة إخوة بني يفرن، ويرجعون إلى أب واحد<sup>1</sup>، وقد تفرعت من مغراوة أفخاذ كثيرة<sup>2</sup> منهم بنو سنجاس وبنو ريغة، وبنو خزر، وبنو زنداك<sup>3</sup>، وكانوا ينتشرون ما بين إفريقية والسوس في جنوب المغرب الأوسط بجبل راشد وجبل عياض (كيانة)<sup>4</sup>، وما بينه وبين نقاوس وواركلا ولقواط ومراكش والسوس<sup>5</sup>. ويعتقد جوتييه "Gautier" أن قلب بلاد مغراوة يجب البحث عنه في سهل شلف غير أنهم كانوا ينتشرون في الهضاب العليا حتى الصحراء<sup>6</sup>. يعتبر المغرب الأوسط موطن زناتة، وكان لمغراوة السيادة عليه، وبخاصة بني خزر منهم<sup>7</sup> الذين كانوا يعيشون في تلمسان وتنتشر أفخاذهم في أعمالها، كما انتشرت بين تلمسان وتيهرت أيضا<sup>8</sup>، وكانت مغراوة تضرب ما بين مليانة ومازونة وحول تيهرت، مما حدا ببعض المؤرخين إلى اعتبار بني خزر ملوكا لمدينة تيهرت<sup>9</sup>، والقول الذي غلب إليه أن بني خزر كان لهم السلطة في تيهرت في فترات متقطعة أيام وجود الفاطميين بالمغرب، وكان الصراع عنيفا بين مغراوة والفاطميين للاستيلاء على هذه المدينة، ونجحت مغراوة حينما في الاستيلاء على تيهرت، إلا أن الفاطميين نجحوا دائما في استردادها منهم<sup>10</sup>.

\* استاذة مكلفة بالدروس بقسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران.

## المـواـمـش

1- أنظر: فلسفة التاريخ: غنيمي الشيخ، دار النشر والتوزيع، ص 17.

2- ابن خلدون: المقدمة، ص 50.

3- مالك بن نبي: تأملات. دار الفكر-دمشق، ص 190.

4- أنظر: مرتضى مطهري: المجتمع والتاريخ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ص 65.

5- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص 86.

6- نقلا عن فلسفة التاريخ: غنيمي الشيخ، ص 145.

7- نفس المرجع السابق، ص 140.

8- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص 67.

9- أنظر: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص 60 وما بعدها.



تيهت، وتوجه أبو عبد الله إلى عاصمة بني مدرار، حاولوا قطع خط الرجعة عليه، حين عمد محمد بن خزر مع جماعة من أهل تيهت يعرفون ببني دبوس على الإيقاع بعامل الفاطميين فيها، وهو داوس بن صولات اللهيصي، ومن معه من حامية كتامة<sup>17</sup>.

وفطن هذا الوالي للمكيدة المدبرة ضده، وتمكن من إحباطها بعزل بني دبوس عن الاتصال بزنانة، وبذلك فشلت خطة محمد بن خزر<sup>18</sup>، ويبدو أن هذا الأخير ركز نشاطه على تيهت بصفة خاصة، وذلك أملا في استعادتها باعتبارها عاصمة الخوارج الإباضية من جهة، وقاعدة اقتصادية هامة للقبائل الزناتية من جهة أخرى.

والظاهر أن بداية هجوم محمد بن خزر على ديار تيهت وقع فيها خلط شديد عند المؤرخين<sup>19</sup>، غير أنه بعد دراسة ما تيسر لنا من نصوص تبين أن أول احتكاك لقوات محمد بن خزر بالفاطميين جاء مباشرة عند ارساء الخلافة الفاطمية لقواعدها في المغرب، وذلك في سنة 297هـ/ 908-910م، وأصبحت مطاردة قبائل زناتة الشغل الشاغل للفاطميين، حيث أدركوا خطورة هذه القبيلة على سلطاتهم في أراضي المغرب.

وما أن حلت سنة 298هـ/ 911م<sup>20</sup> حتى جهزت حملة كبيرة يقودها أبو عبد الله الشيعي إلى مضارب زناتة ببلاد المغرب الأوسط، فشن هجوما على صدينة<sup>21</sup> وزنانة فحلت بهم الهزائم، وقتل من خيرة رجالها أعدادا لا تحصى، وبعث أبو عبد الله الشيعي ببشائر النصر إلى عبيد الله المهدي، وقرأت الكتب في بلاد إفريقية مستبشرين بالانتصار على زناتة<sup>22</sup>. ولم توضح المصادر التاريخية سبب خروج هذه الحملة، وقد يرجح السبب في ذلك إلى قيام هاتين القبيلتين - وهما صدينة وزنانة - بثورة على الفاطميين أو إلى رغبة الفواطم في أحكام سطوتها عليها<sup>23</sup>، ويغلب على الظن أن محاربة زناتة عامة و مغراوة خاصة ما هو إلا استمرار لعمليات إخضاع الفاطميين ببلاد المغرب لنفوذهم.

لقد صارت تيهت المحور الأساسي الذي دارت حوله حركة المقاومة بين زناتة والفاطميين نظرا لأهمية موقع المدينة تجاريا، إذ تجمع عندها أهم الطرق التي تربط المشرق، والمغرب وجنوب بلاد السودان<sup>24</sup>، ولذلك رأت مغراوة في بقاءها تحت سلطة الفاطميين حجر عثرة يحول دون توسيع نشاطها الاقتصادي، كما أدرك الفاطميون أهمية دعم سلطتهم في تيهت لواد حركات قبائل زناتة المعارضة.

وسنحاول في ظل هذه الدراسة الكشف عن العلل والمسببات التي تكمن وراء حركات مقاومة مغراوة الزناتية بقيادة محمد بن خزر بن صيالات الزناتي للوجود الفاطمي في مرحلته المغربية مع تحليل الحدث التاريخي، والتطرق إلى الجوانب الجغرافية والبشرية دون إغفال أهمية النواحي المذهبية والاجتماعية والاقتصادية.

ظهرت بوادر عداء قبائل مغراوة للدعوة الإسماعيلية، والتوسع الفاطمي قبل قيام الخلافة الفاطمية، ويرتبط بالعهد الذي كان فيه أبو عبد الله الشيعي في "إيكجان"، وعبيد الله المهدي في سجن بني مدرار في سجلماسة، وازدادت هوة الصراع بين الجانبين عندما اجتازت القوات الفاطمية أراضي زناتة متوجهة نحو سجلماسة لتخليص عبيد الله المهدي من حبسه، وحدث أن أرسل أبو عبد الله الشيعي أربعة عشر رجلا من خيرة رجاله في مهمة عند صاحب الدعوة المهدي<sup>11</sup>، لكن هذا الوفد قتل عن آخره عند عودته في منطقة الزاب -قرب طينة الواقعة على مشارف قبائل زناتة- على أيدي عناصر زناتية كانت تخضع لإشراف أمير مغراوة الزناتية، وهو محمد بن خزر<sup>12</sup>.

وحين علم أبو عبد الله بالخبر اشتد غضبه، وتألم للحدث الذي راح ضحيته بعضا من خيرة رجاله المخلصين، وعزم على الرجوع لتأديب قبائل زناتة والانتقام من محمد بن خزر، ولم يشه عن عزمه إلا رأي أتباعه الذين اقنعوه ببعد البلد<sup>13</sup>، وأجمعوا على الاستمرار على الخطة القديمة في فتح بلاد إفريقية والإنطلاق إلى بلد قسطنطينية، وتركوا أمر زناتة إلى حين.

وكانت هذه الحادثة بداية الحركة العدائية التي تبنتها زناتة عامة ومغراوة بصفة خاصة ضد التوسع الفاطمي في الأراضي المغربية، كما ذهبت بعض الدراسات الحديثة إلى أن عدم تحرك زناتة في أول الأمر، وعدم مجاهرتهما بالمعارضة الصريحة للفاطميين راجع إلى سرعة نجاحهم، وانتشار نفوذهم انتشارا لم يكن متوقعا في ذلك الزمن القصير<sup>14</sup>.

وقد اشتدت حركة المعارضة الزناتية للدولة الفاطمية بعد أن انتصر أبو عبد الله الشيعي واستولى على عاصمة بني الأغلب، وأقام عرش الدولة الفاطمية، ثم توجه إلى سجلماسة لإطلاق سراح مولاها، فخشت زناتة بأسه<sup>15</sup>، وبادرت بتقديم الطاعة له قبل أن يصل إلى حدود بلادهم، فقبل منهم ذلك، إذ جاء سقوط تيهت في يد الفاطميين عملا نشر الذعر بين القبائل الزناتية لوقوع هذه المدينة في قلب مضاربهم فشعروا بوطأة السلطان الفاطمي عليهم، ومراقبة تحركاتهم ونشاطهم التجاري<sup>16</sup>، ولكنهم ما فتئوا أن تنكروا لسطوة الفاطميين، فبمجرد أن أخضعت



وانطلق مصالة بن حبوس على رأس حملة في ذي الحجة من سنة 304هـ/918م إلى نكور<sup>33</sup> - خاضرة قبائل صنهاجة- من أجل تأديب آل سعيد بن صالح لأنهم تطاولوا على السلطة الفاطمية، وأساءوا الرد على كتاب المهدي الذي تضمن دعوتهم إلى الاعتراف بالسيادة الفاطمية<sup>34</sup>، ولكن بالرغم من الانتصارات التي حققتها قوات مصالة بن حبوس في المغرب الأوسط والأقصى، فإن حركات مغراوة المضادة لم تتوقف مما دفع مصالة بتعبئة حملة لمهاجمة زناتة وتآديب زعيمها، واختلف كل من "ابن خلدون" و"ابن عذاري" في تحديد تاريخ ومكان انطلاق هجومه عليها، فيحدها الأول سنة 309هـ/921-922م، ويقول بأنه انطلق من سجلماسة، أما الثاني فيقول بأن مصالة بعد أن استولى على سجلماسة انطلق إلى المهدي في سنة 315هـ/922م، فبقى بها عدة أيام ثم عاد إلى تيهرت، وفي سنة 312هـ/924-925م خرج منها إلى زناتة فقتل وسبي، وحين علم محمد بن خزر بذلك قصده، ودارت بينهما معركة فقتل فيها مصالة بن حبوس، وانحزمت قواته<sup>34</sup>.

وبعد سنتين زحف محمد بن خزر إلى تيهرت محاربا، غير أن المهدي أخرج موسى بن محمد الكتامي في أثره في جماعة من القواد، فقتل محمد بن خزر إلى الصحراء منهزما، غير أنه أبقى أخاه عبد الله بوادي مطامطة<sup>35</sup>، فدارت بينه وبين جند الفاطميين حربا كان الانتصار فيها لصالح عناصر محمد بن خزر، كما أورد ابن حماد<sup>36</sup> أن محمد بن خزر أوقع بعسكر كتامة، وكان قوادها أبو عروس واسحاق بن خليفة، ومما سبق يتضح أن المؤرخين يختلفان فيما ذكراه، فالأول<sup>37</sup> يتحدث عن حملة واحدة على رأسها قائدان<sup>38</sup>، إلا أنهما يتفقان على أن أحدهما كنيته أبو عروس<sup>39</sup>، ويذكر الآخر أن اسمه "موسى بن محمد الكتامي"<sup>40</sup>، ومن ثم فلا يستبعد أن يكونا قد قصدا شخصا واحدا اسمه الكامل "أبو عروس موسى بن محمد الكتامي"، لكنه من الصعب على الباحث أن يحكم رأيه فيما إذا كان الشخصان قائدين لجيش واحد أو لجيشين، وكان النصر في النهاية ل محمد بن خزر كما هو واضح عند "ابن حامد"<sup>41</sup>، الذي يتفق مع "ابن خلدون"<sup>42</sup> على أن المهدي أخرج حملة يقودها ابنه القاسم إلى تيهرت سنة 315هـ/927م-928م.

ويظهر أن موت مصالة بن حبوس، ترك فراغا سياسيا في الجناح الغربي من الدولة الفاطمية، الأمر الذي دفع المهدي بأن يعين على تيهرت أخو مصالة، يصل بن حبوس<sup>43</sup> كعرفان لما قدمه مصالة للسلطان الفاطمي عامة وولاية تيهرت خاصة فقد استمر إشرافه عليها ثلاثة عشر

ويبدو أن مغراوة لم تجهض مقاومتها بعد الهزائم التي منيت بها أمام الفاطميين، فقد عادت إلى رفع لواء العصيان والمعارضة في ظروف دقيقة أملت بجهاز الفاطميين الإداري في تيهرت، الأمر الذي هيا الظروف المناسبة لمعاودة محمد بن خزر الهجوم عليها سنة 299هـ/913م<sup>25</sup> والاستيلاء عليها، واضطر عامل المهدي إلى الفرار منها تاركا أهله وعياله<sup>26</sup>، في حين انشغل المهدي بأمور رقادة والاحتفال بارتقائه الخلافة، غير أنه لم يتهاون ويغفل عن أمر هذه الحركة الخطيرة فأرسل جيشا جرارا لاسترجاعها في نفس السنة. واستطاع هذا الجيش بقيادة هارون بن يونس المستالي- المعروف بشيخ المشايخ- أن يشتت شمل مغراوة تيهرت عنوة، كما أمعن في قتل الأهالي وانتهاك أموالهم وإحراق المدينة وتدميرها<sup>27</sup>.

وقد جاء إمعان الفاطميين في التوغل داخل تيهرت إظهارا لقوتهم العسكرية، غير أن مغراوة لم تعيها الجهود الفاطمية في شل تحركاتها بل شمرت عن ساعدها مرة أخرى؛ فانتهزت انشغال المهدي في إخماد الحركة المضادة التي تزعمها أبو عبد الله الشيعي، وعاود محمد بن خزر حصار تيهرت<sup>28</sup>، غير أن محاولته منيت بالفشل؛ ودمر جيشه في القفار بعد أن تدارك المهدي الموقف وأرسل في أوائل سنة 299هـ-913م حملة كبيرة لفك حصار تيهرت وتم له ذلك، وبهذا فشلت قوات مغراوة ثانية أمام الفاطميين، وفقدت الكثير من رجالها<sup>29</sup>.

وتمكن القوات الفاطمية من فتح تيهرت، وتآديب سكانها الذين ثاروا من قبل على دواس، وتآمروا عليه، ومكنوا زعيم زناتة من الاستيلاء عليها، وقتل عدد كبير من رجاله، وقد اتضح للمهدي سوء تصرف داس اللهيصي وعجزه عن الصمود والمقاومة وإسراعه في الفرار عن المدينة للمرة الثانية نجرد ظهور حركة مقاومة، ولم يهتم بمصالح الدولة الفاطمية ولا مصير أنصاره وجنده، لذلك استدعاه المهدي إلى رقادة بعد أن عزله من وظيفته، وتمهل به فترة ثم قتله عقابا على قصوره وجبنه<sup>30</sup>.

وعين المهدي قائد الحملة التأديبية مصالة بن حبوس بن منازل بن بهلول المكناسي<sup>31</sup>، الذي سيطر على المدينة، وتبع عناصر الشغب، وحفظ المدينة- مؤقتا- في حوزة السلطة الفاطمية، كما غدت تيهرت قاعدة عسكرية، وجه حباسة منها قواته نحو المغرب الأقصى، وبرغم أن أقدام المهدي لم تكن قد رسخت بعد الرسوخ الكافي في رقادة في هذا التاريخ، بالإضافة إلى أن ما أحدهم مقتل أبي عبد الله الشيعي في أوساط الإسماعيلية، فإنه لم يتهاون بأمر تيهرت وبادر باسترجاعها، ولم يترك للمغراويين فرصة ليدعموا نفوذهم فيها.



داخل مضارب زناتة. ولم تباشر قوات محمد بن خزر التعرض للقوات الفاطمية نظرا للظروف المناخية وقلة المؤن التي حالت دون مواجهة الزناتيين.<sup>53</sup>

وأتاح هذه الظروف لزنانة عامة ومحمد بن خزر خاصة فرصة التماهي في ممارسة ضغوطه على الوجود الفاطمي في تيهرت في حين تدهور مركز والي تيهرت يصل بن حبوس<sup>54</sup>، ولم تشر النصوص التاريخية إلى أية مقاومة قام بها هذا الوالي ضد محمد بن خزر.

استمر وضع تيهرت مضطربا في عهد واليها الجديد أبي مالك بن يغمراسن بن أبي شحمه اللهصي<sup>55</sup>، بسبب شغب سكانها، وتقلب أهوانهم وميل جانب منهم إلى محمد بن خزر، ولذلك ناروا ضده وضيقوا عليه حتى أخرجوه من المدينة سنة 323 هـ / 934م-935م، وعينوا من تلقاء أنفسهم واليا من مكناسة، هو أبو القاسم الأحذب بن مصالة بن حبوس<sup>56</sup>، ولم يلبث غير سنة واحدة إذ قتله ميسور الفتي أثناء عودته من حرب موسى بن أبي العافية، وسبب ذلك أن أبا القاسم تعاون مع عناصر الشغب، وقبل منهم الولاية دون أن يرجع الأمر إلى الخليفة الفاطمي، وبهذا يكون قد خرج على السلطة الشرعية فحكم عليهم بالقتل جزاء خروجه على الطاعة والرسوم الفاطمية في ذلك الشأن<sup>57</sup>، وقبل مغادرة ميسور الفتي أرض تيهرت عين عليها داوود بن إبراهيم من قبيلة عجيسة في سنة 324 هـ-935-936م<sup>58</sup>.

لم تذكر المصادر التاريخية<sup>59</sup> شيئا عن الصراع الفاطمي الزناتي منذ تعيين هذا الوالي إلى حين زحف عليه حميد بن يصل في سنة 323 هـ-934م-935م. بعد أن فر من سجنه في المهديّة مستغلا ظروف انشغال القائم بأمر الله باخداد حركة أبي يزيد اليفري<sup>60</sup>، فطرد الوالي الشرعي وأعلن استقلالية المدينة عن السلطة المركزية<sup>61</sup>، والغالب على الظن أن حميد بن يصل قصد من هذا العمل تنسيق جهوده مع أبناء عصبته من قبيلة مكناسة الذين انشقوا عن الدولة الفاطمية ووالوا أموي الأندلس، مما كان لهذا التحالف أثره الخطير على النفوذ الفاطمي في الجزء الغربي من بلاد المغرب<sup>62</sup>.

وقد حسمت السلطات الفاطمية أمر هذا الجانب، حيث تم إجلاء يصل عن ولاية تيهرت فالتجأ إلى الأندلس<sup>63</sup>، وانتهاز محمد بن خزر الفرصة واحتل تيهرت واستبد بامارتها، وفرض سلطان مغراوة عليها وعلى ضواحيها، والظاهر أن الأوضاع الداخلية انقلبت عليه من عناصر هواراة ولماية وفرع بني يفرن حين ستموا سياسته<sup>64</sup>، وفي غمرة ذلك الصراع القبلي بين قبيلتي بني يفرن

وجاء تنفيذ مهمة الوالي الجديد على عجل حتى تتمكن قبيلة مكناسة الأخذ بثأر زعيمها من وبخاصة فرع مغراوة، فقد فوض المهدي ليصل بن حبوس مهام مراقبة العناصر المعارضة الفاطمي في تيهرت، مغراوة وقاندها محمد بن خزر الذي وسع دائرة نشاطه بعد الانتصار الذي حققه على مصالة بن حبوس فوطد علاقته بالخليفة الناصر الأموي في الأندلس فتشكل الحلف الثنائي الذي وقف أمام نشاط القوات الفاطمية.

وأدرك الأمويون في الأندلس مدى أبعاد الخطر الفاطمي، فوقفوا بكل حزم وجدية لصد والدفاع عن كياناتهم، فتركز دفاعهم بصفة خاصة على المراكز الساحلية لشمال المغرب، وعمل خلفاء الأندلس على جذب الأنصار من بعض قبائل المغرب المعادية للفاطميين<sup>44</sup>، أما رأت الدراسات التاريخية أن نجاح زناتة في بلاد المغرب، والتوسع على حساب النفوذ الفاطمي هو نجاحا للسياسة الأموية في الأندلس<sup>45</sup>، ومما صعد الصراع الفاطمي الأموي، دخول عبد الرحمن الناصر بلاد المغرب، وبسط نشاطه الحربي في المغرب الأوسط والأقصى مستغلا ح الذي حققته قوات محمد بن خزر على ولاية تيهرت<sup>46</sup>.

والملاحظ أن تقهقر القوات الفاطمية، والتدخل الأندلسي في أحداث المغرب زاد من نفوذ بن خزر، لا سيما بعد أن تضافرت جهود القبائل الزناتية من هواراة ولماية ومطغرة وبني برزال<sup>47</sup>، ويبدو أن سيطرة محمد بن خزر على الوضع السياسي في الزاب وتيهرت ومناطق من المغرب الأوسط هي التي دفعت المهدي إلى بذل جهد ضخم ضد حركة المقاومة الزناتية، ابنه وولي عهده أبا القاسم على رأس حملة كبيرة في سنة 315 هـ-927م<sup>48</sup>.

وقد مرت الحملة بقواعد مدينتي الأربس وباغاية، وتوغلت في مضارب كتامة ثم اجتازت ب مطغرة، وفي سوق إبراهيم - في حوض الشلف - أقام أبو القاسم نحو شهر لصعوبة السير رداءة الجو وكثرة الأمطار، وقد عانى من ذلك مصاعب جمة، وكان معرضا للأوبئة بسبب الذباب وقلة التغذية<sup>49</sup>. وبعد أن أمن هواراة ولماية الذين دخلوا في طاعته ولم يقاوموه تركهم يهت، ومنها انطلق نحو حصن تامنغت<sup>50</sup>، وأقام فيه مدة شهرين في مواجهة محمد بن خزر كان يعسكر برجاله في موضع عرف بـ"أورن"<sup>51</sup>، فترك أبو القاسم حرب زناتة ورجع إلى حيث لم تسفر حملته عن تعديل ميزان القوى الذي بقي راجحا لصالح ابن خزر.

استطاع أبو القاسم أن يستعيد منطقة الزاب وأن يؤسس بها قاعدة عسكرية فاطمية مهمة مراقبة مضارب زناتة وحماية النفوذ الفاطمي<sup>52</sup>. واكتفى أبو القاسم بجولة استطلاعية



## الهوامش:

- <sup>1</sup> عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ج4، ص24.
- <sup>2</sup> Cauvet, « L'origine des Zenata », Bulletin provisoire de la société géographique d'Alger et de l'Afrique du Nord, 2<sup>ème</sup> trimestre, 1942, p17.
- <sup>3</sup> ابن حزم علي بن محمد، جهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1962، ص497.
- <sup>4</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص44، ج6، ص102، 143-147، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، البلدان، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ص102، أبي القاسم بن حوقل، صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا، ص85.
- <sup>5</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص143، ج7، ص47، 48، ابن حوقل، المصدر السابق، ص85، أبي عبيد الله ابن عبد العزيز البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المطبعة الأمريكية والشرقية، باريس، 165، ص52، ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان إلفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1، ص191.
- <sup>6</sup> Gautier, le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs, Paris, (1952, p383).
- <sup>7</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص44، ج6، ص102.
- <sup>8</sup> علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرواس دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص21.
- <sup>9</sup> عبد الواحد الشيباني المشهور بابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبعة بيروت 1967، ج8، ص60، ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص200.
- <sup>10</sup> لسان الدين بن الخطيب، المغرب العربي في العصر الوسيط من كتاب أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ج3، ص153.
- <sup>11</sup> ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص155.
- <sup>12</sup> ابن حيون المغربي المشهور بالقاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تحقيق، فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للنزاع تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986، ص222.
- <sup>13</sup> المصدر نفسه، ص224.
- <sup>14</sup> Le tourneau, (R) «La revolte d'Abou, Yazid au X siècle, cahier de Tunisie 14-1953, pp622.
- <sup>15</sup> ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص133، "نقي الدين المقرئ" اتعاظ الخنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين شيال، القاهرة، 1967، ج1، ص65.

ومغراوة تمكن يعلى بن محمد اليفري من الاستيلاء، على تيهرت، وفرض سيادته عليها من قاعدته الحصينة "أفكان"<sup>65</sup>.

وظل الوضع كذلك في مدينة تيهرت وضواحيها إلى حين تولى المعز لدين الله الخلافة فأخرج في سنة 327هـ/958-959م حملة كبيرة يقودها جوهر الصقلي لإرجاع الأمن والنظام في تيهرت وفاس وسجلماسة<sup>66</sup>. وقد أحرز جوهر نصرا باهرا على يعلى بن محمد اليفري، واستولى على تيهرت وقتل يعلى بن محمد مع بقية أسرته، وأسر ابنه، وهدم المدينة عن آخرها<sup>67</sup>، وعادت المدينة بعد هذا النصر إلى عهدة زيري بن مناد الصنهاجي جزاء بلاءه الحسن في مقاومة حركات المعارضة الزناتية<sup>68</sup>. وفي الوقت الذي أصيب فيه فرع بني يفرن بنكة عظيمة زال خطر مغراوة على تيهرت مؤقتا، بسبب سياسة المداجنة والتودد التي مارسها المعز مع محمد بن خزر وسائر النوار في منطقة الزاب وقلعة جبل أوراس، إذ منح المعز الأمان لمحمد بن خزر واحتفى به عندما قدم المهديّة، وبقي في القيروان حتى توفي سنة 347هـ/959م-960م<sup>69</sup>.

وآلت الزعامة إلى ابنه "الخير" الذي استأنف نشاطه العسكري ضد تيهرت، كما استمر في تجديد علاقته بأمويي الأندلس<sup>70</sup>، واستطاع المعز لدين الله أن يتتبع تحركاته قبيل رحيله إلى مصر، لأنه كره أن يترك أثرا ضد النفوذ الفاطمي، فجند كل الوسائل للقضاء عليه، وتم إخماد تحركات الخير بن محمد بن خزر بفضل مساعدات زعيم صنهاجة الذي اقتنى أثره<sup>71</sup>، فكره أن يلقي مصيره على يد أعدائه الفاطميين، فقتل نفسه بسيفه، وترك أنصاره للقتل والأسر، فحلت بذلك نكسة عظيمة بفرع مغراوة حيث تضاعف دورهم وازدادوا ضعفا<sup>72</sup>.

وقصارى القول أن الصراع الفاطمي المغراوي حول مدينة تيهرت وأرباضها قد اكتسب طابعا سياسيا واقتصاديا، فضلا عن الطابع القبلي إذ أن القبائل الزناتية كرهت الحاميات الكتامية وولاية الفاطميين من فرع كتامة وعجيسة وصنهاجة لأنها تصورت أن هدف السياسة الفاطمية هو إذلال البتر بواسطة أعدائهم البرانس، هذا إلى جانب التنافس للسيطرة على أهم الطرق التجارية، وهو العامل الذي أعطى للمقاومة طابعا حادا، وهكذا بدت تجربة الحكم الفاطمي في تيهرت فاشلة لأنها لم تحقق الاستقرار؛ فقد عجز جهاز الدولة عن مواجهة حركات المعارضين لضعف ولائها وقلة خبرتهم أمام الأحداث الجسام.



- 16 ( ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 133، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 36.
- 17 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 155.
- 18 ( البكري، المصدر السابق، ص 67.
- 19 ( قارن بين نصوص وردت عن ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 133 والمقريري، المصدر السابق، ص 1، ص 65، ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 154، 155، القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 222.
- 20 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 160. يقول: Fournel H أن بعض الأعمال غير السياسية التي مست بعض العقائد الدينية تسببت في قيام ثورة ببلد كتامة بقيادة شيخ يسمى ببات، و قضى عليها القائد الذي كان يتولى قيادة المنطقة باسم عبيد الله المهدي، وألقى القبض على ببات هذا، وهذه الحركة كانت سببا لثورة زناتة فجاءت لحصار دواس بني صولات من جديد بتيهت
- Fournel H. Les Berberes, Etude sur la conquete de l'Afrique par les arabes, T.2 Paris 1875 p.99
- ويلاحظ أن ابن عذاري الذي استقى منه فورنال (Fournel) معلوماته لا يقيم علاقة بين الأعمال التي مست العقائد الدينية أي التشيع القبيح، وبين ثورة ببات وحصار زناتة لدواس، فكل ما يستنتج من كلام ابن عذاري أن هذه الأحداث وقعت في سنة واحدة لكنها منفصلة عن بعضها البعض .
- 21 ( هي بطن من بني فاتن إحدى بطون البتر. ابن خلدون، العبر، ج 6 ص 118
- 22 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 160-166.
- 23 ( المصدر نفسه، نفس الصفحات .
- 24 ( أحمد بن أبي عثمان سعيد عبد الواحد الشماخي، سير علماء ومشائخ جبل نفوسة، تحقيق محمد حسن، منشورات كلية الآداب تونس، 1995م، ص 334.
- 25 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 165، 166.
- 26 ( المصدر نفسه، نفس الصفحات.
- 27 ( نفسه، ج 1، ص 166.
- 28 ( ابن الخطيب، المصدر السابق، ج 3، ص 51.
- 29 ( المصدر نفسه، ج 3، ص 51، 52.
- 30 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 166.
- 31 ( المصدر نفسه، نفس الصفحة.
- 32 ( مدينة أسسها سعيد ابن إدريس بن صالح بن منصور، تقع على بعد خمسة أميال من مدينة زواغة، وهي بين فجرين أحدهما نهر نكور و به سميت، وبينهما و بين البحر خمسة أميال. ابن عذاري، المصدر السابق، ج 8 ص 176 وصارت فيما بعد تسمى مرسى بنو نكور. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج 1 مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ، ص
- 33 ( البكري، المصدر السابق، ص 96، ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 175.
- 34 ( ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 39، ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 191.
- 35 ( المصدر نفسه، نفس الصفحة.
- 36 ( أخبار ملوك بن عبيد وسيرهم، تحقيق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 24.
- 37 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 191.
- 38 ( ابن حامد، المصدر السابق، ص 24.
- 39 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 191.
- 40 ( ابن حماد، المصدر السابق، ص 24.
- 41 ( المصدر نفسه، نفس الصفحة.
- 42 ( العبر، ج 4، ص 39.
- 43 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 197.
- 44 ( ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 190، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 39، محمود علي مكي، "التشيع في الأندلس"، منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد، 9، 10-1961، 1962، ص 96، 122، 124.
- Abdallah laroui, L'histoire du Maghreb ED/Collection Maspero, Paris, 1975, T1, 45 p127.
- 46 ( ابن حيان بن خلف بن حسين، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت 1965، ص 326، 327.
- 47 ( الداعي إدريس، الدولة الفاطمية بالمغرب، الجزء الخامس من عيون الأخبار، ص 52.
- 48 ( القاضي النعمان، الإفتتاح، ص 328، ابن حماد، المصدر السابق، ص 23.
- 49 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 191.
- 50 ( بين تامغلت و اشير بني زيري ثلاثون ميلا و هي تقع في سفح جبل و تقرب من الصحراء. البكري، المغرب ص 66.
- 51 ( لم نعتز على هذا الموقع عند كتب الرحالة ولا في خرائط الجغرافيين ويرجح أن يكون هذا الموقع بضواحي ليهرت.
- 52 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 191، سنوسي يوسف إبراهيم زناتة والخلافة الفاطمية، مكتبة سعيد رالت 1986 ص 183.
- 53 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 193.
- 54 ( موسى لقبال، دور قبيلة كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 357.
- 55 ( ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 197، 198.



## "الإسلام الطرقي"

## وصدمة الظاهرة الاستعمارية بالجزائر:

## ترجمة ودراسة وثيقة أصلية نموذجية.

د. محمد الأمين بلغيث

يبدو كما ذهب أحد الباحثين أن الكلمة قد عادت إلى أصحابها الآن، وذلك بعد أن استحوذت الدولة الوطنية على التاريخ مع السيادة التي عادت إلى أصحابها الطبيعيين بعد أن كان الأجانب رواد المدرسة الكولونيالية يركزون اهتمامهم منذ احتلالهم على دراسة إسلام البلدان المستعمرة، اعتقاداً منهم بأنه سيكون قلعة الجهاد؛ وبأن الطريقة هي قناته الشعبية المباشرة، بقدر ما كان إطمئناننا نحن في الجانب الوطني كبيراً إلى ما ظنناه حقيقة ثابتة في أن مسألة البعد الديني لتاريخنا المعاصر قد حسمت في إطار المعركة الوطنية ضد الاستعمار المباشر، وأن انتصار القوى الإصلاحية والوطنية كان انتصاراً نهائياً لفكرة تحرير التاريخ الوطني من مناهج وقوالب المدرسة الفرنسية<sup>(1)</sup>.

إن واقع الخارطة السياسية والجغرافية للطرق الصوفية في الجزائر كان مجال دراسات وأعمال السلطة الاستعمارية بمختلف وسائلها، وفي هذا السياق يمكن فهم أشكال السلطة التي واجهت الصدمة الغربية القادمة من وراء البحر وتمثل في سلطة الدولة العثمانية وسلطة الطريقة الصوفية وسلطة القبيلة، ويمكن أن نسحب هذه السلطات على جهاد الشعب الجزائري أو المقاومة الشعبية الجزائرية أو المقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

الوثيقة المترجمة، هي صورة طبق الأصل لأي وثيقة تخص مراقبة الطرق الصوفية على اختلاف مواقفها من الاحتلال الفرنسي لبلاد المغرب (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، ومن

<sup>56</sup> وقال عن ابن خلدون أنه كان أمير مكناسة، العبري، ج 3 ص 38، 39، في حين ذكر الناصري أنه ابن أخي

مصالة بنت حيوس، الاستقصاء، ج 1، ص 82.

<sup>57</sup> موسى لقبال، المرجع السابق، ص 258.

<sup>58</sup> ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 198.

<sup>59</sup> المصدر نفسه، نفس الصفحة، الناصري، المصدر السابق، ج 1، ص 82.

<sup>60</sup> ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 196.

<sup>61</sup> الناصري، المصدر السابق، ج 1، ص 82.

<sup>62</sup> إن فكرة الثورة و الخروج عن السلطان الفاطمي عند حميد بن يصيل، كانت قديمة و رغبته في الانفصال و الإنفراد بولاية تيهرت كانت واضحة منذ 318هـ/930م عندما غادر المهديّة دون إذن من المهدي و بنى قلعة بها، كما أصهر إلى أحد الشيوخ المنطقة فتدارك المهدي خطورة الموقف فأرسل إلى عامله بها وكان يصل بن حيوس يأمره بإخراجه منها إلى المهديّة فأفسد عليه خطته في الإستقلال بتيهert. الإستقصاء، ج 1 ص 82.

<sup>63</sup> ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 198.

<sup>64</sup> المصدر نفسه، نفس الصفحة.

<sup>65</sup> و يسمى البكري هذه المدينة " أفكان " و يقول ظاهراً كانت سوقاً قديمة من أسواق زناتة و كان ابتداء تأسيسه لها سنة 338هـ/449-450م المغرب، ص 29 و يسميها ابن عذاري " أفكان " البيان، ج 1، ص 198. ويكتبها ابن أبي دينار بـ " أفكان " بدون ياء، المؤنس، ص 63، أنظر الإدريسي، المصدر السابق، صص 250-251.

<sup>66</sup> ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 524، الدوادار زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، ج 6 مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة، رقم 24027، ورقة 195.

<sup>67</sup> المقريري، المصدر السابق، ج 1، ص 92.

<sup>68</sup> الدوادار، المصدر السابق، ج 6 ورقة 192.

<sup>69</sup> أبو علي منصور العزيمي الجودري، سيرة الأستاذ جودر، تحقيق محمد كامل حسين، محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954، صص 108، 109.

<sup>70</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، صص 39-40/ الدوادار، المصدر السابق، الورقة 195 غير أن الشماخي قد أشار إلى تاريخ وفاته في سنة 350هـ (967م) هذا الأخير كان وهيباً بخلاف محمد بن خزر الذي كان سنياً موالياً لأُموي الأندلس في أغلب الحالات. أنظر عن ثورة أبي خزر: الشماخي، المصدر السابق، صص 313-323.

<sup>71</sup> الناصري، الإستقصاء، ج 1، ص 83.

<sup>72</sup> الدوادار، المصدر السابق، ج 6، ورقة 117.